3) الخلفية الفكرية والمعرفية لادموند هوسرل:

وما يجب الإشارة إليه هو أن الخلفية الفلسفية و الفكرية و الجو الفكري الذي نشأ فيه هوسرل كان له بالغ الأثر على تشييد منهجه و بناء توجهه الفلسفي ، فقدومه إلى الفلسفة كان من خلال الرياضيات و المنطق إذ بدأ حياته الفلسفية بأبحاث عن الرياضيات حيث نشر الجزء الأول من كتابه الهام " فلسفة علم الحساب" ثم بعدها ظهر مؤلفه الأساسي"أبحاث منطقية"عام 1900-1901 الذي فحص فيه أسس المنطق ، و في عام 1913 نشر هوسرل كتابه "أفكار حول الفينومينولوجيا الخالصة" و هنا ستتحول الفينومينولوجيا إلى فلسفة أولى.

فهوسرل انطلق من دراسة الرياضيات دراسة فلسفية ثم أبدع منهجا ذا طابع موضوعي و عقلي منتهيا إلى المثالية و هو بسبيل تطبيق هذا المنطق على دراسة الوعي ، فتصور هوسرل للفينومينولوجيا قد مر بثلاثة مراحل في أولها اهتم بالمشكلات الخاصة بالمنطق و الرياضيات و المرحلة الثانية و التي هي مرحلة "علم النفس الوصفي" ، وهنا **"كانت تصلح إلى أن تكون علما وصفيا خالصا"**[1]، أما المرحلة الثالثة فهي مرحلة الفينومينولوجيا الترنسندنتالية و قد حاول فيها أن يجعل من الفينومينولوجيا فلسفة أولى " **و هدف الفلسفة الأولى هو غاية ما وصلت إليه الفينومينولوجيا الترنسندنتالية من النضج، أن تكون صحيحة مرة واحدة و إلى الأبد"**[2]، و هذا الحلم الهوسرلي في أن تكون الفينومينولوجيا فلسفة أولى راجع إلى تلك الظروف التي كانت فيها الفلسفة ممزقة بين نزعتين ، نزعة وضعية علمية تنظر إلى الأشياء نظرة تجريبية (إمبريقية) لا مكان فيها للحدس ، و نزعة ذاتية نسبية و عقلية فأصبحت كل نزعة تدعي امتلاكها للحقيقة و هذا ما جعل هوسرل يضع كل هذه الفلسفات أمام النقد الجذري "Critique Radicale" ، وسبب هذا النقد هو أن كل الفلسفات بنظره كانت تحمل زيفا و أخطاء ، وعليه كانت الفينومينولوجيا كما يقول هوسرل نفسه:" **هي العلم**

---

[1]- يوسف سليم سلامة ، المرجع السابق،ص11.

[2]- المرجع نفسه ،ص 11.

بالنقد ، نقد العقل بأشكاله ، النظــري ، المعيـاري ، العملي..."[3]، ونجده أيضا يعرف الفينومينولوجيا في الأبحاث المنطقية بأنها "**علم البحث المحايد الذي تنبت منه شتى العلوم "**[4]، أما في كتاب الفلسفة بوصفها علما دقيقا فيعرفها بقوله:"**علم البدايات الحقيقية أو علم الأصول ...و العلم الذي يهتم بما هو جذري لا بد أن يكون من كل وجهة للنظر–جذريا هو نفسه في طريقة بحثه"**[5].و هي منهج ينحصر في وصف الظاهرة أي وصف ما هو معطى من الظاهرة.

وانطلاقا من مبدأ المعطى هذا أو الإنعطاء يمكن أن نقول أن الفينومينولوجيا تدرس ما يتجلى و ما يظهر عن الظاهرة إذ ستكون" **بمثابة فلسفة الأصول المعتمدة و بصورة شبه كلية على أحد أهم مبادئها الذي مارسها نحو الفتح المبين المتمثل في الحدس العطائي المحض " L intuition donatrice pure" باعتباره مبدأ المبادئ و القائل بضرورة الالتفات أو العودة إلى الشيء عينه "Retour aux mêmes choses " ، المبدأ الذي سيرجع إليه كل فينومينولوجي قصد التمكن من إقامة و تدشين فينومينولوجيته الخاصة به و المميزة لفكره "**[6]،و هكذا فإن قاعدة التوجه إلى الأشياء ذاتها هي القاعدة الأولى و الأساسية في المنهج الفينومينولوجي و كلمة "شيء" هنا تعني المعطى أي ما نراه أمام وعينا و هذا المعطى هو الظاهرة أي ما هو ظاهر أمام الوعي ، والمعطى هو مرتبط بفكرة " الإنعطاء" أو "كيفيات الإنعطاء "، ولكي يتمكن الفينومينولوجي من توجيه الانتباه إلى كيفيات الإنعطاق يجب عليه أن يتوقف عن إنجاز الإعتقاد في وجود العالم و الموضوعات ، أي يجب عليه أن يضع كل شيء موضع شك ، وهذه هي القاعدة الأولى من قواعد المنهج الفينومينولوجي ، وهذا التوقف عن اتخاذ أي موقف إزاء العالم و الموضوعات هو ما يسميه هوسرل ب"**الإبوخيه**" ،وهكذا ستكون الفينومينولوجيا بحثا عن كيفيات

---

[3]– إدموند هوسرل ، فكرة الفينومينولوجيا ، تر: فتحي أنقزو،المنظمة العربية للترجمة ، بيروت ، لبنان ،ط 1 ، 2007 ، ص27.

[4]– يوسف سليم سلامة ، المرجع السابق ،ص 11.

[5]– إدموند هوسرل ، الفلسفة علما دقيقا ،تر: محمود رجب، المشروع القومي للترجمة،ط1 ،2002 ،ص 103.

[6]– م م ، حوار الفلسفة و العلم ،سؤال الثبات و التحول ، عبد القادر بودومة ،المرجع السابق ، ص 247.

إنعطاق الظواهر أي كيفيات قدومها إلى الوعي و مجيئها إليه،ومن هنا نتبين ملاحظة هامة وهي أن موضوع الفينومينولوجيا ليست الظواهر أي ليست الأشياء الماثلة أمامنا و أمام نظرنا ، بل هو في الكيفية التي تظهر لنا من خلالها تلك الأشياء ، فهي تسأل وتبحث فيما يجعل الاظاهرة ظاهرة .

و هذا لأن "**الفينومينولوجي يجعل من كيفيات العطاء التي ننجزها دون أن نعير لها بالا محط اهتمامه ، إن اهتمامه لا يتجه أبدا نحو الموضوع الذي يقصده الوعي ، بل الموضوع في كيفيات عطائه للوعي (أي كيفيات قدومه و مجيئه ، وليس كموضوع ماثل أمام الوعي و الحس) و في اندراج هذه الكيفيات في أفق العالم**"[7].وعندما يتمكن الفينومينولوجي من اتخاذ موقفا إيبوخيا اتجاه العالم و الموضوعات فإن هذا سيتيح له القدرة على إرجاع هذه الموضوعات إلى كيفيات عطائها و هذا ما يسميه هوسرل ب:"**الإرجاع الفينومينولوجي**"[8].

و يبقى أن نشير إلى أنه رغم تعدد تعريفات الفينومينولوجيا و تلك الاختلافات المتعددة لتعريفها إلا أنها في حقيقتها هي تعريفات متناسقة و مكملة لبعضها البعض، فبدءا من التعريف الأول الذي جعل فيه هوسرل الفينومينولوجيا علما كليا و دقيقا للمعرفة الإنسانية ، بالإضافة إلى أنها العلم الذي يدرس الشعور دراسة وصفية اعتمادا على الحدس بغية التوصل إلى المعرفة اليقينية و تأسيس العلم الكلي الذي هو غرض و هدف كل الفينومينولوجيا حسب تعريفها الأول باعتبارها العلم الذي تخرج منه كل العلوم و المعارف.

---

[7]- إدموند هوسرل، أزمة العلوم الأوربية و الفينومينولوجيا الترنسندنتالية،تر:إسماعيل المصدق،المنظمة العربية للترجمة، بيروت ، لبنان ،ط1 ،2008،ص 21.

[8]- المصدر نفسه، ص21.